وبرع في علمي الأصول والفروع ، وزوجه شيخه السمرقندي بابنته فاطمة الفقيهه العالمة .

وخرج بها معه الى بلاد الروم[1] وكان محترما بها ، فجرى بينه وبين فقيه من كبار الفقهاء كلام ، فرفع الكاساني المقرعة على ذلك الفقيه ، وتأذى ملك بلاد الروم من ذلك ولم يقل له شيئا ، وكان يركب الحصان إلى أن مات ، وله رمح يصحبه في الحضر والسفر ، وعنده نخوة الإمارة وعزة النفس .

وسير من الروم رسولا إلى حلب إلى نور الدين محمود بن زنكي ، فعرض عليه المقام بحلب والتدريس بالمدرسة الحلاوية ، فأجابه إلى ذلك ، ووعده أن يعود إلى حلب بعد رد جواب (٢٣ــو) الرسالة ، فعاد إلى الروم وأعاد الجواب على ملك الروم ، ثم قدم حلب فأكرمه نور الدين محمود بن زنكي وولاه التدريس بالمدرسة الحلاوية المعروفة بمسجد السراجين ، وفوض إليه نظرها ، وزاوية الحديث بالشرقية بالمسجد الجامع ، فحدث بالزاوية المذكورة عند خزانة الكتب ، ودرس بالمدرسة المذكورة وبالجاولية ، وكان حريصا على تعليمم العلم ونفع الطلبة ، وكان فقيها عالماً صحيح الاعتقاد ، كثير الذم للمعتزلة وأهل البدع يصرح بشتمهم ولعنهم في دروسه ، وصنف كتبا في الفقه والأصول منها كتابه في الفقه الذي وسمه « ببدائع الصنائع في ترتيب الشرائع » رتبه أحسن ترتيب وأوضح مشكلاته بذكر الدلائل في جميع المسائل ، ومنها كتابه الذي وسمه « بالسلطان المبين في أصول الدين » وكان مواظبا على ذكر الدرس ونشر العلم .

حدثني والدي رحمه الله قال : كان علاء الدين الكاساني كثيراً مايعرض له النقرس في رجليه والمفاصل ، فكان يحمل في محفة من منزله بالمدرسة ، ويخرج الى الفقهاء بالمدرسة ويذكر الدرس ولا يمنعه ذلك الألم من الاشتغال ، ولا يخل بذكر الدرس ، وكانت زوجته فقيهة فاضلة تحفظ التحفة من تصنيف والدها ، وتنقل المذهب وربما وهم الشيخ في الفتوى في بعض الأحيان ، فتأخذ عليه ذلك الوهم وتنبهه على وجه الصواب فيرجع الى قولها .

---

١ ــ الى ديار سلاجقة الروم .

وسنذكرها في (٢٣ــظ) حرف الفاء فيمن اسمه فاطمة من النساء ان شاء الله تعالى .

أنبأنا جماعة من شيوخي عن الشيخ الامام علاء الدين الكاساني ، ونقلته من خطه ، قال : أخبرنا الشيخ الإمام الأجل الاستاذ علاء الدين ــ يعني ــ محمد بن أبي أحمد السمرقندي قال : حدثني الشيخ الامام أبو علي الحسن بن محمد بن خدام البخاري قال : حدثنا الشيخ القاضي الامام أبو علي الحسين بن الخضر بن محمد النسفي ، جدي رحمه الله ، قال حدثنا الشيخ الإمام الجليل أبو بكر محمد ابن الفضل الكاغدي قال : حدثنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن يعقوب الحارثي الشيخ الفقيه الحافظ قال : أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن اسحق السمناني قال : حدثنا اسماعيل بن توبة القزويني قال : حدثنا امام المسلمين محمد بن الحسن الشيباني رحمة الله عليه قال : حدثنا أبو حنيفة رحمه الله قال : حدثنا علقمه بن مرثد عن ابن بُرَيْدة عن أبيه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا بعث جيشا قال : اغزوا بسم الله ، وفي سبيل الله ، قاتلوا من كفر بالله . لاتغلوا ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليداً ، وإذا حاصرتم مدينة أو حصنا فادعوهم إلى الاسلام فإن أسلموا فأخبروهم أنهم من المسلمين لهم مالهم وعليهم ماعليهم [1] الحديث .

أخبرني الشريف أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن محمد البخاري الاصل (٢٤ــو) الحلبي المولد والمربى ، والشيخ نظام الدين محمد بن عتيق الديباجي الحنفي قالا : قال الشيخ الامام علاء الدين أبو بكر الكاساني في أول اعتقاده ، وسمعناه منه : لا شيء أرضى عند الله تعالى من هداية العباد الى سبيل الرشاد ، والإبانة لهم عن المرضي من الاعتقاد ، وهو اعتقاد السنة والجماعه إذ به ينال خير الدارين وسعادة المحلين ، فمن تمسك به فقد اتبع الهدى ، ومن حاد عنه فقد ضلّ وغوى ، وذكره إلى آخره (٢٤ــظ) .

---

١ ــ انظره في كنز العمال : ٤/١١٠٠٨ ، ١١٤٣٠ .

بسم الله الرحمن الرحيم

فإذا أعدت الجواب إليهم عدت بعد ذلك ، وقدمت حلب ، وكتب نور الدين محمود خطته لعلاء الدين الكاساني بالمدرسة ، ورجع الكاساني وأعاد جواب الرسالة وعاد الى حلب ، ووصل الخبر بوصوله فخرج جماعة عظيمة من الفقهاء الى لقائه الى باب بزاعا .

قال لي خليفة : وكنت إذ ذاك صبيا صغيرا ، فخرجت مع والدي فيمن خرج ، فعهدي بالشيخ الكاساني والفقهاء مجتمعون حوله ، وأقام ذلك اليوم بباب بزاعا على عزم الدخول صبيحة تلك الليلة ، فجاءه في أثناء النهار رجل من الفقهاء وقال له : عبر هاهنا رجل شيخ فقيه ومعه جماعة من الفقهاء ، وقالوا : هذا عالي الغزنوي وقد جاء الى حلب لأخذ المدرسة ، فقال النجيب ــ يعني ــ محمد بن سعد الله بن الوزان وجماعة غيره من الفقهاء للكاساني : المصلحة أن نقوم وندخل الى حلب ، فبقي وقام وسار فوصل حلب بكرة ، وكان عالي قد وصلها العصر من اليوم المتقدم ، ونزل بالحجرة ، فوصل الكاساني ودخل المدرسة والفقهاء حوله ، فأرسل الفقهاء الى عالي وقالوا له : تقوم وتخرج لأجل الشيخ ، فامتنع فأعادوا له القول ثانيا ، وقالوا المصلحة : أنك تخرج بحرمتك وإلا يدخل من يخرجك قسرا بغير اختيارك ، فلما رأى الجد في ذلك خرج من الحجرة ومضى الى حجرة صغيرة كانت في جانب المدرسة ، فنزلها (٢٧ ــ ظ) وكان نور الدين إذ ذاك غائبا عن حلب فكوتب في ذلك فولى الكاساني المدرسة الكبيرة ، وكان ابن الحليم مدرسا بمدرسة الحدادين فاستدعي الى دمشق ، وولي مكانه عالي الغزنوي .

قال لي مقرب الدين أبو حفص عمر بن قشام : إن الشريف النقيب أبا طالب ــ يعني ــ أحمد بن محمد ، نقيب العلويين بحلب ، خرج وتلقى الكاساني وحرضه على سرعة الوصول الى حلب ، وقال لي ابن قشام : لما ورد الكاساني في الرسالة من الروم ، وطلبه نور الدين لتدريس المدرسة أجاب الى ذلك ، وقال : أعود وأودي جواب الرسالة ، ثم أرجع ، فمضى وبسطت له سجادة بالمدرسة وكانت تبسط كل يوم ويجتمع الفقهاء حولها الى أن قدم واستقل بالتدريس والنظر .

قال لي خليفة بن سليمان : ولم تزل حرمة الكاساني تعظم وتزيد ، ويرتفع أمره

عند نور الدين ومن بعده من الملوك الى أن تناقصت في أيام الملك الناصر صلاح الدين[1] فلزم مكانه بالمدرسة ، ثم عظم بعد ذلك أمره عند الملك الظاهر وما زال يحترمه الى أن مات .

وقال لي السديد النقيب داود البصراوي : كان الكاساني يصعد الى قلعة حلب راكبا وينزل حيث ينزل الملك الظاهر ، فاتفق أن صعد يوما والفقهاء بأجمعهم بين يديه ، فلما وصل الى باب القلعة قام البواب وقال : يدخل الشيخ ، ويرجع الفقهاء ، فلوى الشيخ عنان (٢٨ ــ و) حصانه وقال : يرجع الشيخ أيضا ، فبلغ الملك الظاهر ، فأرسل في الحال من أدخل الشيخ والفقهاء معه الى أن نزل الشيخ حيث ينزل ، ودخل الشيخ والفقهاء معه الى مجلسه .

قلت : ولما توفي الكاساني تولى الملك الظاهر تربية ولده وكان صبيا واستخدم عتقاءه وولاهم تربية ولده بالقلعة ، واجتهد في اشغاله بالفقه فلم ينجب .

قال لي خليفة بن سليمان : مات علاء الدين الكاساني يوم الاحد بعد الظهر وهو عاشر رجب في سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، ثم قرأت بخط خليفة على ظهر كتاب : توفي الاستاذ الامام علاء الدين الكاساني ذو المكارم أبو بكر بن مسعود عاشر رجب بعد الظهر سنة سبع وثمانين وخمسمائة ، وتولى التدريس بعده الاستاذ الامام افتخار الدين في سابع عشر رجب .

سمعت ضياء الدين محمد بن خميس الوكيل المعروف بابن المغربي يقول : حضرت الشيخ علاء الدين الكاساني عند موته ، فشرع في قراءة سورة ابراهيم عليه السلام حتى انتهى الى قوله تعالى : « يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة »[2] فخرجت روحه عند فراغه من قوله : « في الاخرة » .

قلت : ودفن رحمه الله داخل مقام ابراهيم عليه السلام ظاهر حلب في قبة من شماليه كان دفن فيها زوجه فاطمة بنت علاء الدين السمرقندي ولم يقطع (٢٨ــظ)

---

١ ــ كان صلاح الدين شافعي المذهب .

٢ ــ سورة ابراهيم ــ الآية : ٢٧ .

زيارة قبرها كل ليلة جمعة الى أن مات رحمه الله وزرت قبريهما في هذه القبة المذكورة غير مرة .

أبو بكر بن مسلم العابد :

صاحب قنطرة بردان كان من أهل طرسوس ، وبردان هو نهر طرسوس ، سمع بطرسوس أبا حمزة الأسلي العابد ، حكى عنه الحسين بن شبيب الآجري الزاهد ، وحكى عنه أبو بكر أحمد بن محمد بن الحجاج المروروذي وصحبه الجنيد بن محمد .

أنبأنا أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي قال : أخبرنا أبو منصور القزاز قال : أخبرنا أبو بكر الخطيب قال : أخبرنا محمد بن عمر بن بكر المقرىء قال : أخبرنا اسماعيل بن علي بن محمد بن عبد الله الفحام قال حدثنا أبو بكر أحمد بن محمد الصيدلاني قال : حدثنا أحمد بن محمد بن الحجاج المروزي قال : حدثنا الحسين ابن شبيب الآجري ــ وكان هذا من النساك المذكورين ــ قال : حدثنا أبو حمزة الأسلي بطرسوس قال : حدثنا وكيع قال : حدثنا أبي واسرائيل عن أبي اسحق عن عبد الله بن خليفة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : الكرسي الذي يجلس عليه الرب عز وجل ما يفضل منه إلا قدر أربع أصابع وإن له أطيطا كأطيط الرحل الجديد[1] .

قال أبو بكر المروزي : قال لي أبو بكر بن مسلم العابد : حين قدمنا الى بغداد أخرج ذلك الحديث الذي كتبناه عن أبي حمزة ، فكتبه أبو بكر بن مسلم بخطه (٢٩ ــ و) وسمعناه جميعا ، فقال أبو بكر بن مسلم : إن الموضع الذي يفضل لمحمد صلى الله عليه وسلم ليجلسه عليه ، قال أبو بكر الصيدلاني : من رد هذا ، فإنما أراد الطعن على أبي بكر المروزي ، وعلى أبي بكر بن مسلم العابد .

أخبرنا أبو اسحاق ابراهيم بن عثمان بن يوسف ــ فيما أذن لنا في روايته عنه ، وقد سمعت منه غيره ــ قال : أخبرنا أبو بكر عبد الله بن محمد بن أحمد بن النقور قال : أخبرنا أبو الحسين بن الطيوري قال : أخبرنا أبو القاسم عبد العزيز

---

١ ــ تاريخ بغداد : ٨/٥٢ (ترجمة الحسين بن شبيب الاجري) .